WARTER SOURCES AND MEANS OF IRRIGATION DURING THE TIME OF THE PROPHET (PBUH)

Assoc. Prof. Dr. Elraiah Hamed Elnil Ahmed Allaith[1]

ABSTRACT

The research methodology of this article is done on the basis of the methodology of historical research, methodology of descriptive research and the methodology of analytical research. This article has concluded that there were sufficient water resources during the Prophet's time for drinking and irrigation. Also the Arab Peninsula was not as arid as some would believe. The irrigation system was well developed during the prophet's time. Furthermore, the article concluded that the means of irrigation were established to make use of water local resources. One more conclusion is that the Prophet (PBUH) had made use of the pre-Islamic irrigation systems such as water depot and dams. And finally, water regulations that were established by the Prophet (PBUH) had led to solving water disputes and to a better use of water resources. However, this article recommends the necessity of directing our researches towards studying aspects of civilization when researching the Prophets' biography. The second recommendation is the need to pay further attention to the study of Islamic economic history for the important role it plays on the development of historical events as to their initiations and results.

[1] *Ph.D. (History)* *รองศาสตราจารย์ประจำภาควิชาอิสลามศึกษา วิทยาลัยอิสลามศึกษา มหาวิทยาลัยอิสลามศึกษา มหาวิทยาลัยสงขลานครินทร์ วิทยาเขตปัตตานี*

بسم الله الرحمن الرحيم

موارد المياه ووسائل الري في العصر النبوي

دراسة وتحليل

إعداد : د. الريح حمد النيل أحمد الليث[1]

الحمد لله الذي وفقني إلى اختيار هذا الموضوع وإلى البحث والتنقيب فيه والفراغ من إعداده. فقد كنت ولا زلت مهتماً بدراسة المواضيع التي تساعد على فهم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، من خلال دراسة سيرة الرسول محمد بن عبد الله ﷺ، لذا يندرج البحث في هذا الموضوع في إطار البحث في التاريخ والحضارة الإسلامية. وتمثل دراسته مدخلا مهما لدراسة جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية في العصر النبوي. فهو إذن موضوع يجمع بين دراسة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. وقد دعاني إلى الكتابة فيه ما لاحظته من خلال قراءتي لما توفر لي مما كتب عن السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وذلك أثناء دراستي لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، أن معظم الذين اهتموا بتناول سيرة المصطفى ﷺ، ركّزوا بصورة أساسية على الجوانب الدينية والعسكرية. فجاء الاهتمام بهذين الجانبين على حساب الجوانب الأخرى خاصة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية. غير أنه وبحمد الله ومنذ سنوات قلائل خلت أخذ الاهتمام بدراسة تاريخ العصر النبوي الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، يحتل مكانه بين الدراسات الأخرى المتعلقة بالسيرة النبوية. ومن ثم أخذ هذا الاهتمام يزداد وينتشر ويتسع مداه وفق رؤى ومنطلقات فكرية تستمد قوتها من مناهج الأقدمين، عبر طرح علمي منهجي يجمع بين المنهجين القديم والحديث، باعتبار أن الغاية من الاثنين سبر أغوار البحث في السيرة النبوية ، وتقديمها للقارئ المسلم و(غير المسلم) مبرّأة من العيوب، خالية من الخطأ والدخيل منزهة عن الصغائر والأباطيل، منقاة من الانحرافات ومشوه الكتابات.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على السياسة الاقتصادية النبوية في مجال موارد المياه ووسائل الري ، وما صاحبها من تشريعات كان لها الأثر المباشر في التقدم الملحوظ الذي

---

[1] أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية.

طرأ على طرق الري في المدينة المنورة خاصة، و مناطق شبه الجزيرة العربية عامة. حيث أخذت ملامح الشخصية الاقتصادية المستقلة لدولة الإسلام في المدينة المنورة في الظهور، مع بداية التطبيق الفعلي لتلك التشريعات بالرغم مما كان يواجهها من تحديات أهمها على الإطلاق نشر الدعوة وإعلاء رايات الجهاد، والتي جعلت معظم أفراد المجتمع القادرين على العمل والإنتاج خارج نطاق العمل في الحقل الاقتصادي، وهو ما أثّر سلباً على مجمل النشاط الاقتصادي، على الرغم من أهميته في دعم الجهاد وتحقيق أهدافه وبلوغ مراميه وغاياته. غير أن هذا الوضع لم يثن الرسول ﷺ من إحراز الانتصار تلو الانتصار في المجالين معا، مستفيداً من معرفته بطبيعة شبه الجزيرة العربية وكذلك من الظروف المحيطة به داخلياً وخارجياً. فاستطاع تطويع تلك الظروف لمصلحة المجتمع المسلم الناشئ متبعاً في ذلك مبدأ الواقعية البيئية لشبه الجزيرة العربية.

المدينة المنورة:-

تقع المدينة المنورة التي تعد من أكثر مدن شبه الجزيرة العربية(أو أرض العرب)[1] أهمية، في المملكة العربية السعودية. وتعتبر ذات موقع حيوي خصيب، حيث تتوسط الكتلة المعمورة في المنطقة التي تتركز فيها الحياة البشرية في الحجاز الذي يحجز سهل تهامة عن مرتفعات نجد[2]. وترتفع فوق سطح البحر أكثر من ستمائة متر(٦٠٠ متر)، وجوّها أقرب إلى الاعتدال، وموقعها موقع واحة استراتيجية. وهى مدينة قوافل تتصل ببادية نجد من

---

[1]. **أرض العرب** في كتابات المتقدمين يقصد بها جزيرة العرب،وقد اختلفوا في حدود هذه الجزيرة ،فمنهم من قال:هي ما بين البحر الأحمر والخليج والمحيط الهندي وبادية الشام،وقال غيرهم بهذه الحدود،غير انه قال:تمتد شمالا،يحدها من الشرق الفرات،ومن الغرب نهر الأردن،فتشمل بذلك بلاد الشام الشرقية،مثل: البلقاء وحوران وشمال شرقي دمشق، وهذه أرض العرب التي جاءهم الإسلام وهم سكانها،وكتاب اليوم يقولون"بلاد العرب"، ويقصدون:الجزيرة العربية والعراق وكل بلاد الشام ..ويذهب الجغرافيون المسلمون إلى تقسيم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام جغرافية هي:تهامة،نجد،الحجاز،العروض واليمن. وتعود أقدم الروايات المتعلقة بهذا التقسيم إلى عبد الله بن عباس . وقد ارتبطت تسميتها بالعرب لكونها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم، ولان اللسان العربي شائع في كلها وإن تفاضل. ويذهب البعض إلى أن العرب أطلقوا على بلادهم اسم جزيرة على الرغم من أن الماء لا يحيط بها من جميع الجهات. أنظر:١/ الهمداني،الحسن بن أحمد بن يعقوب.صفة جزيرة العرب.تحقيق. ابن بلهيد النجدي. القاهرة.١٩٥٣م.٢/ أحمد إبراهيم الشريف . مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول. القاهرة،١٩٦٥م. ص٣٤ ٣/الحربي، إبراهيم بن إسحاق.المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة.تحقيق.حمد الجاسر . الرياض،١٩٦٩م.ص٥٣١..٤/ موقع الإسلام. السيرة النبوية. معجم الأماكن،((يشار إليه لاحقا ب: الإنترنت:مرجع سابق)).

[2] نجد: هي الأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام.وهى المنطقة الواقعة بين الدرجة سبعة وعشرين من العرض الشمالي وبين الدرجتين ثلاثة وأربعين وسبعة وأربعين من الطول الشرقي،بارتفاع عن سطح البحر يتراوح بين ستمائة إلى تسعمائة متر. من أشهر مدنه اليوم:الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية،القصيم، بريدة، عنيزة، حائل ، الخرج وغيرها. الألوسي،محمود شكري. تاريخ نجد. القاهرة،١٩٥٨م. ص٩.الإنترنت،مرجع سابق.معجم الأماكن.

الشرق، ومنها إلى العراق، وتتصل بالبحر الأحمر من الغرب، وتقع على طريق القوافل بين اليمن والشام. والداخل إليها يشم رائحة الطيب، وللعطور رائحة لا توجد في غيرها. وهى مبنية وسط وادي شاسع يمتد إلى الجنوب، وأغلب مبانيها من الحجر المجلوب إليها، وشكل الأبنية فيها هو ما رآه بعينه البتاتونى في مكة وجدة حسب وصفه. والمدينة عندما تشاهد أول مرة من بعيد يكمن أن تقارن باستانبول (عاصمة الإمبراطورية العثمانية)، حينما تنظر إليها من بحر مرمرة، وحينما تلوح في الأفق للحاج المتعب القادم إليها، بمنائرها العديدة والشمس تشرق عليها في الصبح، وبنطاق زرعها العريض الأخضر الذي يحيط بها فيحجزها عن جدب الصحراء المخيف المترامي، تبدو كأنها محاطة بفسيفساء من اللؤلؤ المطعم في حاشية متألقة من الميناء الخضراء اللماعة، كما يذكر المستشرق جول كين سنة ١٨٧٧م.[١] وهو كما نلاحظ تعريف مزج بين الوصفين القديم والحديث، لعل القصد من وضعه بهذه الصورة، تقريب مشهد المدينة إلى الأذهان اكثر.

يقول السمهودي عن موقع المدينة المنورة : تقع المدينة المنورة المعروفة في الجاهلية بيثرب[٢]، في إقليم الحجاز على بعد خمسمائة كيلو متر من مكة على خط طول أربعين درجة شرقا، وخط عرض خمسة وعشرين درجة شمال خط الاستواء[٣]، بارتفاع يصل إلي تسعة وثلاثين وستمائة متر عن سطح البحر. وقد أدى وقوع المدينة في منطقة مرتفعة إلي تعرضها إلي ما تسوقه الرياح من غيوم تسبب الأمطار القصيرة الوقت ، العنيفة الهطول المحدثة

---

[1]. **تهامة(الغور أو السافلة)** هي تلك الأرض المنكفئة إلى البحر الأحمر من الشرق،من العقبة – في الأردن–إلى المخا في اليمن،وهى هناك واسعة كثيرة القرى والزروع،وفى الحجاز تسمى تهامة الحجاز،وهى أضيق أرضا وأقل مياها،ومنها مكة المكرمة وجدة والعقبة،وفى تهامة أودية فحول تأخذ مياه سروات الحجاز واليمن فتصبها في البحر،وكثير منها خصب كثير الزرع والنخل،من هذه الأودية وادي إضم"وادي المدينة" وادي ينبع،وادي الصفراء،وادي أمج، ومر الظهران،والليث ،وقنونا.وهى عبارة عن سهل ساحلي خصب جداً. أنظر :أبو الفدا، تقويم البلدان.تحقيق:ديلان. باريس،١٨٤٠م. ص٢٢. الإنترنت:١/موقع الإسلام. السيرة النبوية. معجم الأماكن.٢/ موقع إسلام أون لاين نت/حضارة/مدن.

[2]. **يثرب** بالمثناة تحت،ومثلثة ساكنة،وآخره موحدة:جاء في ذكر خروج قبائل الازد من اليمن،وكان أن نزلت الأوس والخزرج يثرب،وقد سماها رسول الله ،صلى الله عليه وسلم فيما بعد"المدينة"ونهى أن يقال لها يثرب،وسمى أهلها الأنصار.ودعاها المسلمون المدينة المنورة،تمييزا لها عن أية مدينة أخرى.الإنترنت.مرجع سابق.معجم الأماكن.

[3]. **السمهودي، نور الدين على بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى،الجزء الأول، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،** القاهرة،١٩٥٥م. ص١٩/١٧. العباس،أحمد بن عبد الحميد. عمدة الأخبار في مدينة المختار. تصحيح:حمد الجاسر. المدينة،(د.ت). ص٣٦٤.

E1,S.V.ALMADINA P,83 THE ENCYCOLOPADIA OF ISLAM. NEW EDITION.VOL,11,C-G,LUZAC, LONDON,1965.

السيول المؤدية إلى فيضان الأودية، آلتي تهدد المدينة بالغرق خاصة في الجزء الجنوبي منها. وتحيط بالمدينة بعض الجبال التي تتخللها بعض الأودية التي تسيل عند هطول الأمطار.

أما حاليا فتقع المدينة المنورة وسط الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية، وتحدد بخطوط الطول والعرض كما يلي: خط الطول ٣٦, ٣٩ تسع وثلاثون درجة وستة ثلاثون جزءاً من الدرجة. خط العرض٢٨, ٢٤ الأربع وعشرون درجة وثمانية وعشرون جزءاً من الدرجة . وترتفع عن سطح البحر ٦٢٥ متراً تقريباً، تبعد عن مكة المكرمة ٤٣٠ كم شمالا، كما تبعد عن شاطئ البحر بخط مستقيم ١٥٠كم، وأقرب الموانئ منها ميناء ينبع البحر الذي يقع في الجهة الغربية الجنوبية منها، ويبعد عنها ٢٢٠ كم، وتبعد عن عاصمة المملكة العربية السعودية الرياض ٩٦٠ كم .[1]

وبالنظر إلى تحديد الارتفاع نرى أن ما ذهب إليه السمهودي هو الأقرب إلى الصواب، نجد ذلك فيما ورد في المصدر الأول : وترتفع فوق سطح البحر بأكثر من ستمائة متر، فعبارة بأكثر تؤيد التسعة وثلاثين مترا التي أضافها السمهودي إلى الستمائة التي اتفق حولها المصدران .

أما من ناحية المناخ فلم تعرف المدينة المنورة في عصر الرسول ﷺ، وسطا أو اعتدالا في مناخها، فهي إما شديدة الحر أو شديدة البرد. وبالرغم من أن المهاجرين لم تواجههم صعوبة كبيرة في التأقلم مع الواقع الجديد، إلا أن الرسول ﷺ كان أرأف بهم وأرحم. حيث يروى، أن الرسول ﷺ، كان يأمر المؤذن في الليلة الباردة الممطرة، أن يدعو إلى الصلاة في الرحال. وفى سنن النسائي: أخبرنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أبى المليح عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحنين فأصابنا مطر فنادى منادى رسول الله ﷺ أن صلوا في رحالكم. وفى الموطأ: حدثني يحيى عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح فقال ألا صلوا في الرحال ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر يقول ألا

---

[1]. يعرف الجزء الجنوبي من المدينة **بالعالية** ،التي إذا ذكرت في المدينة فهي أعلاها من حيث يأتي وادي بطحان ،ويطلق اليوم على تلك الجهات.والعوالي جمع عالية .جاء في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،بعث عبد الله بن رواحة بشيرا إلى أهل العالية،بفوز المسلمين في بدر.انظر: الإنترنت:١/مرجع سابق. معجم الأماكن.٢/ ، موقع شبكة المدينة المنورة. معلومات جغرافية، ٢ من٢.

صلوا في الرحال. وفى سنن أبى داود: حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه نادى بالصلاة بضجنان في ليلة ذات برد وريح فقال في آخر ندائه (ألا صلوا في رحالكم ألا صلوا في الرحال) كما كان ﷺ يقول في الأيام الشديدة الحر: " إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا أشتد الحر فابردوا الصلاة ".[1]

يعتبر مناخ المدينة المنورة بشكل عام مناخا جافاً، يتميز بدرجات حرارة عالية تتراوح بين(٣٠-٤٥) درجة مئوية في الصيف، وبين (١٠-٢٥) درجة مئوية في الشتاء، وتصل الحرارة إلى أعلى معدلاتها في الفترة من (يونيو/حزيران) إلى (سبتمبر/أيلول). وتسقط معظم الأمطار في (نوفمبر/ تشرين الثاني، ويناير/ كانون الثاني، ومارس/ آذار، وأبريل / نيسان) ويبلغ أعلى معدل سنوي للأمطار ٢,١٢ مم وذلك خلال شهر أبريل، ويقدر معدل المطر السنوي لسقوط الأمطار على المدينة حوالي ٩٤,٣ مم، ونادرا ما تسقط الأمطار في فصل الصيف. وذلك خلال شهر أبريل، ويقدر معدل المطر السنوي لسقوط الأمطار على المدينة حوالى٩٤,٣مم، ونادرا ما تسقط الأمطار في فصل الصيف.[2]

لعل ما ذكرناه يشير إلى أن أمطار المدينة كان أكثرها في الليالي الباردة ولعلها ليالي الشتاء، وأن الحر كان شديداً في الصيف، و أن أكثر الأمطار كان يهطل في الليل بينما يكون النهار حاراً جدا. وأن أجزاء المدينة الجنوبية ، كانت أكثر أمطارا من أجزائها الشمالية.

طرق ووسائل الري :

ينبغي الإشارة بداية إلى أنه يصعب التفريق بين وسيلة الري أو طريقته وبين مورد المياه، فغالباً ما يكون المورد هو الوسيلة نفسها، مع اختلاف وظيفة كل. فالمورد هو الذي يمد الوسيلة بالماء حتى تقوم بوظيفتها على الوجه الأكمل. فالمياه في أصولها موارد وعند استخدامها تصير طرقا ووسائل. وبناء على هذا يمكن تقسيم وسائل الري بالمدينة وما حولها إلى الآتي: الأودية، العيون والآبار والأمطار. وهو تقسيم لا يختلف كثيرًا عما كان معروفا في

---

[1] ١/مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشري. صحيح مسلم مصر(د.ت) ٢/ النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب، سنن النسائي. الإمامة. العذر في ترك الجماعة، بيروت:دار إحياء التراث الإسلامي، ١٩٣٠م. ٣/ مالك بن أنس الأصبحى الحميري، الموطا(كتاب الشعب) تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي مصر،١٩٥١م. ٤/ أبو داود،سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبى داود، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة،١٩٥٠م. ٥/الإنترنت :موقع شبكة المدينة المنورة ،معلومات جغرافية .ص ١من١.

[2] الإنترنت :موقع شبكة المدينة المنورة ،معلومات جغرافية .ص ١من١

الجاهلية[1] غير أن الاختلاف يتمثل في التشريعات التي سنها الرسول ﷺ للاستفادة من موارد المياه وتنظيم عملية الري في المدينة المنورة وما حولها، مع الأخذ في الاعتبار أننا لم نتبع في التقسيم منهجا محددا يقدم موردا على مورد أو وسيلة على وسيلة.

المياه التي تسقى على ضربين: ضرب لا يملك أصله كالسيول ومياه الأمطار، وضرب يملك أصله كالعيون والآبار. فأما ما يملك أصله فلا يخلو أن يكون طريقه في أرض مباحة، أو في أرض يملكها رجل معين، أو في أرض يملكها رجال معينون. فأما ما كان في طريقه في أرض لا تملك مثل المياه التي تسيل من شعاب الجبال وبطون الأودية كمهزور ومذينيب فتسيل مياههما في أرض مباحة غير متملكة إلى أرض من يسقى بها ثم يتصل جريها في مثل ذلك ويحاذى مجرى الماء في إحدى جانبيه، أو في جانبيه جميعاً مزارع وحدائق للناس ويسقون به فهذا حكمه أن يسقى الأعلى فالأعلى، وذلك إذا كان إحياؤهم معاً.[2]

الأودية :

أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء، وأنه سمى المفرج بين الجبلين واديا، وجمعه أودية. قال تعالى : (أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾)[3] وقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾)[4] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ

---

[1] صد **بالجاهلية** ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة . والجاهلية زمان الفترة بين رسولين والظاهر أن الجاهلية نسبة إلى الجاهل وهو من لفظ الجهل الذي هو ضد العلم والمعرفة، وهناك رأى يقول أنها ليست من الجهل الذي هو ضد العلم، ولكن من الجهل الذي هو السفه أي ضد الحلم، وهو شدة الأنفة والخفة والغضب. وقد استخدمت النصوص الشرعية معنى ثالثا لهذه اللفظة، بأن جعلت من الجاهلية مذهبا وطريقة تضاد وتقابل منهج الحياة في الإسلام وهى تعنى الحال التي كان عليها مشركو العرب قبل الإسلام من الجهل بالخالق سبحانه وتعالى، ومن المفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر، وما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه ونحو ذلك. أنظر :١/الإنترنت: موقع إسلام أون لاين، مفاهيم ومصطلحات.٢/إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط .جزءان. إستانبول:المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر(د.ت) ص ١٤٤.((يشار إليه لاحقا ب:مصطفى وآخرون)).

١٠ .(الإنترنت:موسوعة الحديث الشريف- المنتقى شرح موطأ مالك)

[3] سورة الرعد : ١٧

[4] سورة المؤمنون : ١٨

بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾[1] أي أخذ كل وادي بحسبه، فهذا كبير وسع كثيراً من الماء، وهذا صغير وسع بقدره.[2]

ويغلب على أودية شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، الطول وعدم العمق. فأطولها على الإطلاق، وادي الرمة، الذي يبلغ طوله تسعة وخمسين كيلو مترا، حيث يبدأ عند حرة فدك[3] متجها شرقا نحو القصيم نتيجة لالتقاء بعض الأودية. أما أشهرها فهو وادي إضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة، وآخره ميم. وهو وادي المدينة إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة – بطحان وقناة والعقيق – بين أحد والشرثاء يسمى الوادي الخليل إلى أن يتجاوز كنانة التي يذكرها "كثير" وهى غير كنانة غيرة– فيسمى الوادي وادي الحمض إلى إن يصب في البحر بين الوجه وأم لج. هذه أسماؤه اليوم أما اسمه قديماً، فكان يسمى إضما منذ اجتماع تلك الروافد إلى أن يصب في البحر. وهو يسيل من الجنوب الشرقي لحرة خيبر[4]، نحو الجنوب الغربي مقتربا من يثرب التي أسست أتليه أول الأمر في منطقة تجرى إليها مجموعة من الأودية تنتهي إلى مجرى واحد، وهى في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي، وتبعد عنه حوالي خمسة كيلو متر. وبسبب كثرة المياه هناك وتحولها إلى سبخات تتجمع حولها الهوام، إستوخمها سكانها فيما بعد، فتحولوا عنها إلى منطقة زهرة، وهى جنوبي المسجد حاليا، ما بين قربان وقباء، ومع تزايد عدد السكان امتدت رقعة المكان إلى بطحان، وإلى مذينيب شرقا وأطراف رانوناء شمالا. حيث يتصل به واديا العقيق والقرى، مستمداً مياهه من السيول المنحدرة إلي من عيون خيبر حتى يصب في البحر الأحمر.[5]

---

[1] سورة الزخرف : ١١

[2]. الرعد.الآية:١٧ والمؤمنون.الآية ١٨ و الزخرف.الآية.١١. ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، السيرة النبوية، بيروت،١٩٨٣م.ص.٨:٤

[3] **فدك** بلدة عامرة،صالح أهلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر،وهى قرية من شرقي خيبر على واد يذهب مشرقا إلى وادي الرمة،يعرف اليوم بالحائط،وجل ملاكها قبيلة هتيم الإنترنت:. مرجع سابق.معجم الأماكن ،فدك.

[4] **خيبر** بلد كثير الزرع والماء والأهل، وكان يسمى ريف الحجاز، وأكثر محصولاته التمر لكثرة نخله الذي يقدر بالملايين. ولخيبر أودية فحول تجعل مياهه ثرارة تسيل على وجه الأرض. ويبعد عن المدينة (١٦٥) كيلا شمالا على طريق الشام المار بخيبر فتيماء، وقاعدته بلدة الشريف. وأهلها الملاك جلهم من قبيلة عنزة، أما السكان فخليط من الناس، وأكثرهم الخيابرة، وأحدهم خيبرى. وهم أناس سود البشرة، من بقايا الرقّ. الإنترنت: مرجع سابق. معجم الأماكن.

[5] جواد على. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . الجزء الأول. بيروت، ١٩٦٩/١٩٧٦م ص٢،١٦٠. – حافظ.وهبة جزيرة العرب في القرن العشرين. القاهرة، ١٩٦٥م.ص٢/٢٠،٣ ص٢٥/٢٦.– الفيروز أبادى مصدر سابق ص٣٩١. –الإنترنت:موقع شبكة المدينة.معلومات جغرافية.

يعتبر وادي حنيفة من أهم الأودية في شبه الجزيرة العربية، وتكمن أهميته في إمكانية الوصول إليه عن طريق حفر الآبار. وهو يبدأ من منحدرات طريف الغربية متجها شرقاً نحو الخليج العربي غير أنه لا يتصل به. ومن الأودية المهمة كذلك وادي الصفراء المشهور بكثرة نخله وزرعه والذي تقوم عليه قرية الصفراء[1] الكثيرة النخل والزرع والتي تجرى مياه عيونها إلى[2] ينبع. هذا فيما يتعلق بالأودية التي تتجه نحو الخليج العربي والتي تتم الاستفادة من مياهها في الزروع والنخيل.

أما الأودية التي تتجه نحو البحر الأحمر فهي عميقة المجرى على غير العادة، عظيمة الانحدار، عديمة النفع لعدم قدرتها على تكوين واحات كغيرها من الأودية. ومن الأودية المشهورة كذلك وادي القرى أو وادي الديدبان الذي يقع بين تيماء وخيبر والذي يشتهر بكثرة سكانه ومياهه[3]. إلا أن أكثر الأودية احتفاظاً بالمياه هو وادي خرج الذي يفضي إلي سيل النقيع[4]. ويمر به وادي العقيق، وهو بذلك لا يخلو من الماء أبدا[5].

يقع وادي العقيق إلى اليسار من جبل عير ممتداً غربي المدينة فيما وراء حرة الوبرة إلى ما بعد بئر رومة[6] في شمالها الغربي وهى بئر قديمة تنسب لرجل من غفار اسمه رومة يقال إنه اشتراها من رجل مزني، وتقع في الشمال الغربي من المدينة المنورة قرب مجرى وادي العقيق، وتبعد عن المسجد النبوي حوالي خمسة كيلو مترات. وفى العهد النبوي احتاج

---

[1] كانت **الصفراء** قرية تعرف اليوم باسم الواسطة،ثم أعطت اسمها لوادي يليل،وهذا العطاء قديم جدا حيث نجد مضيق الصفراء وغيره،وكان الاسم أصيل للوادي وأن القرية كانت قرية الصفراء. ووادي الصفراء من أودية الحجاز الفحول،كثير القرى كثير الخيوف،وأنّ أكثرها انـدثر اليوم،وسكان هذا الوادي اليوم بنو سالم من حرب، لا يخالطهم فيها إلا نزيل.وكان قديما لغفار من كنانة.الإنترنت:مرجع سابق.معجم الأماكن.

[2] المصدر نفسه.٢/وهبة.ص٢٠/٢. جواد على. المفصل/ا. ص١٦١. الشريف. ص٢٥/٢٥.

[3] نسبة إلى كثرة القرى فيه.يعرف اليوم بوادي العلا:مدينة عامرة في شمال المدينة على قرابة(٣٥٠)كيلا، كثيرة الميـاه والـزرع والأهـل ،ووديها وادي القرى يصب في وادي الجزل ثم يصب الجزل في وادي الحمض"اضم" وتمر في هذا الوادي سكة حديد الحجاز المعطلة. وقـد قامت فيه مدينة العلا مكان "قرح" وكانت قرح سوقا من أسواق العرب.الإنترنت مرجع سابق. معجم الأماكن.٢/حافظ وهبة.ص٢٠/٢.جـواد على. المفصل/١. ص١٦١. الشريف.ص٢٦/٢٥.

[4] **النقيـــع** واد فحل من أودية الحجاز، يقع جنوب المدينة، يسيل من الحرار التي يسيل منها وادي الفرع، ثم يتجه شمالا جاعلا جبـال قـدس على يساره، ويأخذ كل مياهه الشرقية، وهو الذي حماه رسول الله للخيل. وأول النقيع مما يلي المدينة يبعد عنها قرابة(٤٠) كيلا، جنوبا علـى طريق الفرع، وأقصاه على قرابة(١٢٠)كيلا قرب الفرع. الإنترنت:مصدر سابق. معجم الأماكن. الفيروز أبادى. مصدر سابق.ص٣٨١.

[5] الفيروزآبادى.مصدر سابق .ص.٣٨١.

[6] **بئر رومة** بئر ما زالت معروفة في آخر حرة المدينة الغربية إذا اكنعت في مجمع الاسيال قرب مسجد القبلتين، حيث يجتمع سيل بطحـان وسيل العقيق،وقد صار اليوم من أ حياء المدينة الغربية وقد ظلت هذه البئر معلما تاريخياً عبر العصور الماضية ويبدو أنها أهملت في بعـض الأوقات وردمت أو جف ماؤها ثم حفرت وبنيت جدرانها وفوهتها.وتسمى بئر عثمان.وتذكر بعض المصادر أن البستان المحيط بها كان وقفا للمسجد النبوي ويسمى أيضا بستان عثمان .أنظرالإنترنت١/.موقع شبكة المدينة.معلومات جغرافية٢/. مرجع سابق .معجم الأماكن.

المسلمون إليها وكان يملكها رجل يهودي-وفى رواية رجل من غفار- فحض رسول الله ﷺ، المسلمين لبذلها للمسلمين فاشتراها عثمان بن عفانﷺ وجعلها في سبيل الله ويروى أنه زاد في حفرها ووسعها . وهو عبارة عن مجموعة من الأودية أعلاها وادي النقيع ثم ذو العشر ثم ذو الضرورة ثم ذو القربى ثم ذو الميت، ثم ذو القطب، ثم حد المولى، ثم حد الأبانى، ثم تنقية،ثم القويع، ثم ذو الصوابر، ثم ذو الفلجة، ثم الوشيجة، ثم مخايل الوغائر، ثم مخائل الرمضة وكلاهما يصب في حصين، ثم ذو العشيرة (قال ابن إسحاق- في غزاة ذي العشيرة فسلك على نقب بنى دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء بن أزهر، فصلى عندها، فثم مسجده ﷺ، وأستقي له من ماء به يقال له: المسترب ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله، ثم صب لليسار حتى هبط بليل. قال المؤلف: ملل- فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، ثم سلك فرش ملل، حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع..), ثم الرتاحة، ثم ذو سمر، ثم مرخى الحرة اليماني والشامي محتذيان. وعليه تقوم أموال أهل المدينة على بعد منها يتراوح بين ميلين إلى سبعة أميال. وهو عقيقان: الأول: عقيق المدينة الذي ينقسم إلى عقيقين أصغر وأكبر، في الأصغر بئر رومة وعلى الأكبر بئر عروة[1]. الثاني: من بلاد مزينة وهو على مقربة من العقيق الأول[2].

ولا يقل واديا مهزور ومزينيب أهمية عن الأودية الأخرى: أسند عن محمد بن كعب القرظى أنه قال :(وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هدل وعمرو أبناء الخزرج، والنضير بن النحام بن الصريح بعد هؤلاء، فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما مزينيب ومهزور. فنزلت بنو النضير على مزينيب اتخذوا الأموال فكانوا أول من احتفر الآبار وغرس

---

[1] **العقيق** من أشهر أودية المدينة المنورة،فيه عيون ونخل،،يأتيه من الشمال ويأخذ أعلى مساقط مياهه من جبل قدس ومن حرة الحجاز على قرابة(١٤٠) كيلا شمال المدينة،فيسمى أعلاه النقيع وبين جبل عير وحمراء الأسد يسمى الحسا،فإذا تجاوز ذا الحليفة سمى العقيق،فيدفع بأسفل المدينة مجتمعا مع أوديتها الأخرى مثل بطحان وقناة وغيرهما. ياقوت الحموي.مصدر سابق/٤.ص١٣٨..الإنترنت: مرجع سابق.معجم الأماكن.

[2] تعود تسميته عقيقا إلى أن سيله عقّ في الحرة أي قطع وشقّ في الأرض. والمال ما يملكه الفرد وتملكه الجماعة من متاع أو عروض التجارة،أو عقار أو نقود،أو حيوان.السمهودي.مصدر سابق/٣.ص ص١٠٤٠/٢,١٠٦٠ مصطفى وآخرون.مرجع سابق..ص٨٩٢.الإنترنت.مرجع سابق..معجم الأماكن.

الأموال).[1] يقول الرسول ﷺ في سيل مهزور: حدثني يحيى عن مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال في سيل مهزور ومذينيب يمسك حتى الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل. وقوله يمسك حتى الكعبين ثم يرسل اختلف فيه، فمنهم من قال : يرسل صاحب الحائط العلي جميع الماء في حائطه ويسقى به حتى إذا بلغ الماء من قاعة الحائط إلى كعبي من يقوم فيه أغلق مدخل الماء. ومنهم من قال: أنه إذا سقي بالسيل الزرع أمسك حتى يبلغ الماء شراك نعليه، وإذا سقى النخيل والشجر وما له أصل أمسك حتى يبلغ الكعبين. والأحب أن يحبس في الزرع والنخل وما له أصل حتى يبلغ الكعبين. وهذا يدل على أن مياه الواديين كانت تستخدم في عملية الري فشرع الرسول ﷺ ما ينظم كيفية السقي منهما درأ لأي نزاع قد يحدث بين المستفيدين من مائميهما.[2]

أما مهزور فمصدره حرة واقم ويعرف اليوم باسم الغاوي وهو من أودية المدينة التي تمتلئ بالمياه عندما تكثر الأمطار، وتتجمع مياهه من مناطق تبعد عن المدينة أربعين ميلا، ويدخل المدينة من حرة واقم (الخرة الشرقية)، ويسير غربا مع وادي مزينيب في منطقة قربان، ويصبان في مجرى بطحان. وفى عهد الرسول ﷺ اختلف بعض الصحابة في تقسيم مياهه بينهم ، احتكموا إلى رسول الله ﷺ، فحكم لهم أن الماء إذا بلغ الكعبين من يمر به عمن يليه. وعلى أطرافه قامت مزارع نخيل وبسلتين خصبة. وتذكر المصادر التاريخية أن وادي مهزور سال سيلا عظيما في خلافة عثمان بن عفانﷺ حتى خاف الناس أن يغرق المدينة فسد مجراه إليها بردم كبير. ومزينيب من أودية المدينة وهو يسيل بماء المطر خاصة، وهو يصدر من جبلين كبيرين بحذاء جبل الأغوات هما : جلائي وصعب نحو سبعة أميال من المدينة حتى يصب في زغابة، ويتجه بميل بسيط غرباً نحو الشمال حتى يلتقي مع وادي مهزور في منطقة قربا.

---

[1] ومزينيب من أودية المدينة وهو يسيل بماء المطر خاصة،وهو يصدر من جبلين كبيرين بحذاء جبل الأغوات هما :جلائي وصعب نحو سبعة أميال من المدينة حتى يصب في غابة ،ويتجه بميل بسيط غربا نحو الشمال حتى يلتقي مع وادي مهزور في منطقة قربا.أنظر:

[2] هناك قول بأنها الغابة ،وتروى أيضا رغابة، بفتح الراء لا بالزاي. والقول بان زغابة غير الغابة قوى .فانك إذا خرجت من سلع تريد بئر رومة مررت في زغابة، فهي حتما غير الغابة.أنظر لمزيد من التفاصيل:المنتقى شرح موطأ مالك.. الأقضية القضاء في المياه.٢/الإنترنت:١/ مرجع سابق.معجم الأماكن.٢/موقع شبكة المدينة.معلومات جغرافية .ص١من١

هذا إضافة إلى أودية أخرى مثل أمج وغران اللذين يأخذان من حرة بنى سليم ويصبان في البحر. إلى جانب وادي تناضب، وادي تربان، وادي رحقان وغيرها.[1] فالأودية إذن نوعان، **الأول:** قليل المياه بطئ الجريان تتكون عنه واحات يستخدم الناس مياههما في ري الزروع الموسمية. **الثاني:** كثير المياه سريع الجريان، شديد الاندفاع يذهب ماؤه إلى مصباتها لا يستفيد منها أحد.

يعتبر وادي بطحان من الأودية الكبيرة في المدينة المنورة. وهو يتكون من مسايل عدة، منها: مسيل يأتي من منطقة ذي حدر إلى قربان، حيث يلتقي مع الأودية الأخرى، ومنها مسيل وادي رانوناء الذي في جنوب المدينة. ومنها مسيل وادي مذينيب ، ووادي مهزور الآتيين من شرق المدينة، وتمتد هذه المسايل وتكون مجرى يمر شمالا غربي المسجد النبوي في منطقة السيح إلى غربي جبل سلع ويمتد بتعرج قليل إلى منطقة زغابة مجمع الأسيال، وقد سمى بطحان لأن القسم الذي يجري فيه داخل المدينة سهل منبطح، وقد سمى بأبي جيدة لأن الشيخ جيدة جد آل برادة أقام سدودا من الجص لسد هذا السيل حتى لا يداهم الأحوشة الجنوبية من المدينة. وقد غطى مجرى بطحان قبل عدة سنوات بدءا من منطقة قربان.

ولا يقل وادي رانوناء أهمية عن وادي بطحان. وهو مسيل مائي يبدأ من شعاب جبل يقع جنوبي المدينة بعد جبل عير يسمى مقمن أو مقدمة، ويتجه شمالا حتى يدخل بساتين المدينة ما بين قباء والعوالي ، ويمتد إلى منطقة قربان، ويميل غربا حتى يلتقي بطريق قباء المتجه إلى المدينة ويحاذيه حتى يصب في مجرى وادي بطحان ويصبح جزءا منه. وقد بنيت في مجراه قديما سدودا في جنوب قباء لتحجز مياهه، وتتكون بحيرة يستفاد من مياهها في أشهر الجفاف. وذكر السمهودي في وفاء الوفا أن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه أقام عليه سداً، ويذكر عبد القدوس الأنصاري أنه وجد نقوشاً ترجع إلى عهد صدر الإسلام تذكر السد، وأخرى تفيد أنه جدد في عهد الخلافة العثمانية، وقد بنت الحكومة السعودية حاليا

---

[1] **وادي تربان** بضم المثناة فوق وسكون الراء،ثم موحدة.واد من روافد وادي ملل،يأخذ من ثنايا مفرحات على"٢٤"كيلا ثم يدفع جنوبا غربيا حتى يصب في فرش ملل،يأخذه الطريق من المدينة إلى مكة،من رأسه إلى مصبه. أما **رحقان** بفتح الرّاء،فهو واد كبير من روافد وادي الصفراء،يأتي من جبل الفقرة المعروف قديما بالأشعار،ثم يصب في أعلى وادي الصفراء فوق المضيق.أنظر: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر. المغانم المطابة في معالم طابة. تحقيق:حمد الجاسر. الرياض،١٩٦٩م..ص١٥٥.الإنترنت:١/:مرجع سابق.معجم الأماكن.٢/:موقع شبكة المدينة..معلومات جغرافية.ص١من ٢.

عليه سدا حديثا. ويرتبط اسم وادي رانوناء بمسجد الجمعة الذي أقيم قريبا من مجراه القديم شمالي مسجد قباء على بعد تسعمائة متر منه تقريبا، ففي موضع هذا المسجد صلى رسول الله ﷺ، أول جمعة في الإسلام، وذلك عندما قدم مهاجرا إلى المدينة. ولا يزال مجرى وادي رانوناء موجوداً حتى الآن ، وقد غطى القسم الذي يبدأ من منتصف منطقة قربان.

من أشهر الأودية كذلك وادي الرّس من القبلية من أعمال المدينة المنورة. ويوصف بأنه وادٍ عجيب نسبة لما يحتويه من أصناف السمك الكثيرة. فزعموا أنه يأتيه في كل شهر جنس من السمك لم يكن فيه من قبل. ويوجد به رمان لم ير مثله في واد غيره، وزبيبه يجفف في التنانير إذ أن منطقته لا تعرف الشمس لكثرة ما يغطيها من ضباب، إذ أن السماء لم تصح عندهم قط[1]. ولا يوجد السمك إلا حيث توجد المياه الدائمة التي لا تنقطع فتجف. ونستنتج من هذا أن الوادي يلتقي في طريقه إلى مصبه بكثير من الأودية التي تمده بالمياه والتي ربما حملت معها الكثير من أنواع السمك كذلك. فكثرة أصناف السمك إذن دلالة على تنوع المياه وتعدد مصادرها.

شتهرت شبه الجزيرة العربية كذلك بوجود أودية بلغت من الطول والعرض درجة أقرب إلى طول وعرض الأنهار التي نراها اليوم، وإن لم يبق منها شئ. وهى في مجملها مسايل مياه مثل وادي برك بحذاء شواحط من ناحية المدينة والسوارقية، حيث عرف بكثرة النبات والشجر مثل السلم والعرفط، وهو الذي عناه الشاعر بقوله:

فقد جعلت أشجان برك يمينها وذات الشمال من مريخة أشأما

هذا إلى جانب وادي ريمة وادي بنى شيبة قرب المدينة والذي يوجد بأعلاه نخلهم. ووادي رابغ من الجحفة[2] الذي أشتهر بكثرة مياهه، إذ قل ما يفارقه الماء وإذا فارقه الماء حسي[1].

---

[1] **التنانير** مفردها تنورة والتنور الفرن يخبز فيه. أنظر: الفيروز آبادي مصدر سابق.ص١٥٥.: السمهودي. مصدر سابق /٣.ص١٠٧٢.، الأنصاري،عبد القدوس. آثار المدينة المنورة،ص٢٢٥ . مصطفى وآخرون،مرجع سابق .ص٨٩. الإنترنت: مرجع سابق..معلومات جغرافية .ص١من٢.

[2] **الجحفة**،جيم مضمومة وحاء ساكنة وفاء ثم هاء،كانت مدينة عامرة ومحطة من محطات الحاج بين الحرمين ثم تقهقرت في زمن لم نستطع تحديده،إلا انه قبل القرن السادس،وتوجد آثارها اليوم شرق مدينة رابغ بحوالي(٢٢)كيلا،إذا خرجت من رابغ تؤم مكة كانت إلى يسارك حوز السهل من الجبل،وقد بنت الحكومة السعودية مسجدا هناك يزوره بعض الحجاج. الإنترنت: مرجع سابق .معجم الأماكن.

وبالإجمال فإن ما ذكرناه من أودية يدل على أنها شكّلت موارد للمياه ووسائل للري في آن واحد، وموارد مياه أو وسائل للري في أحايين آخر. كما نرى أن استفادة الناس منها في ري الزروع وسقي النخيل كانت كبيرة، وإن لم نشر إلى ذلك بالتفصيل. وبهذا مثلت الأودية عاملا مهماً من عوامل الاستقرار ومن ثم الاتجاه نحو الحياة المتحضرة، خاصةً في حالة الأودية التي تنتهي إلى واحات يقيم حولها الناس يزرعون، يروون زروعهم ويسقون مواشيهم، ومن ثم أخذت حياة الترحال تطغى شيئا فشيئا على حياة البداوة والتنقل في حدود ما تسمح به ظروف الإقامة في تلك الواحات.

الآبار والعيون:

تعرف البئر بأنها حفرة عميقة يستخرج منها الماء أو النفط. والعين:الجارحة. ويقال لمنبع الماء عينا تشبيها بها لما فيها من الماء.[٢]

الآبار ثلاث:-

الأولى: أن يحفرها للسابلة فيكون ماؤها مشتركاً، وحافرها فيهم كأحدهم.

الثانية: أن يحتفرها لارتفاقه بمائها كالبادية إذا انتجعوا أرضاُ وحفروا فيها بئراُ لشربهم وشرب مواشيهم، كانوا أحق بمائها ما أقاموا عليها في نجعهم وعليهم بذل الفضل من مائها للشاربين دون غيرهم.

الثالثة: أن يحتفرها لنفسه ملكا، فما لم يبلغ بالحفر إلى استنباط مائها لم يستقر ملكه عليها. وإذا أستنبط ماءها استقر ملكه عليها لكمال الإحياء.

---

[1] الشواحط.الجمع شواحط: ضرب من الشجر تتخذ منه القسي. ونباته قضبان تنمو كثيرة من أصل واحد، وورقه رقاق طوال، وله ثمرة مثل العنبة الطويلة إلا أن طرفها دقيق، وهى لينة تؤكل، واحدته شوحطة. العرفط: نبات من العضاه من الفصيلة القرنية.الأشجان: هي مسايل المياه. وبرك نقب يخرج من ينبع إلى المدينة عرضه نحوا من أربعة أميال أو خمسة وكان يسمى مبركا فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم.و الجحفة بقية الماء في الحوض. أنظر. الفيروزابادى. مصدر سابق. ص١٥٥. . مصطفى وآخرون. مرجع سابق . ص١٠٨، ٤٧٤، ٥٩٦.

[2] الأصفهاني،أبو على الحسن بن عبد الله. بلاد العرب. تحقيق:حمد الجاسر وصالح أحمد العلى. الرياض، ١٩٦٨. ص٣٥٢. مصطفى وآخرون. مرجع سابق. ص٣٦

حريم البئر:

أما حريم البئر تقديراُ فهو ما رواه أبو بكر الخلال في كتاب المزارعات والشرب بقوله: حدثنا الحسن قال : أخبرنا يحيى، قال: أنبانا أبو حماد عن سفيان بن سعيد عن إسماعيل بن أمية، عن الزهري، عن رسول الله ﷺ، قال: حريم البئر العادي خمسون ذراعاُ. وحريم البئر البدئ خمسةٌ وعشرون ذراعا. قال: وقال سعيد ابن المسيب: حريم قليب الزرع ثلاثمائة ذراع. قال: وقال الزهري: العين وما حولها ثلاثمائة ذراع.[1] وبعد استخراج الماء من البئر عن طريق النواضح يصب فى أحواض لتجميعه، أو في السواقي مباشرة وهى عبارة عن قناطر تنقل الماء إلى النخل والزرع. وقد عرفت هذه الطريقة في المدينة وفى غيرها من مناطق الحجاز.[2]

ليس للآبار عند الإمام مالك حريم محدود ولا للعيون إلا ما يضر بها، سواء كان ذلك بئر زرع أو بئر ماشية أو غيرها من الآبار. ولم يكن الإمام مالك كذلك يكره بيع فضل ماء الزرع من العيون والآبار. ورأيه واضح فيما إذا امتنع أهل الآبار عن بيع الماء للمسافرين: أرأيت لو أن قوماً مسافرين وردوا ماءُ، فمنعهم أهل الماء من الشرب أيجاهدونهم أم لا ؟ ينظر في ذلك فإن كان ماؤهم مما يحل لهم بيعه مثلاُ البئر يحفرها الرجل في داره، أو أرضه قد وضعها لذلك يبيع ماءها، كان لهم أن يمنعوهم إلا بثمن الا أن يكونوا قوماً لا ثمن معهم. فإن منعوا قبل أن يبلغوا ماء قبل ذلك خيف عليهم، فالرأي ألا يمنعوا وإن منعوا جاهدوهم. وأما ما لم يكن لهم في ذلك ضرر يخاف عليهم، فالرأي ألا يأخذوا ذلك منهم إلا بثمن.[3] كذلك

---

[1] **السابلة** الطريق المسلوك. والسابلة المارون على الطريق المسلوك.يقال :سبيل سابلة أي مسلوكة. والذراع: اليد من كل حيوان،لكنها من الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى.ومقياس أشهر أنواع الذراع الهاشمية وهى اثنان وثلاثون إصبعا ،أو أربعة وستون سنتيمترا. والقليب: البئر. والبئر البدئ البئر الحادثة غير القديمة.:**أنظر**:.١/ الفراء،أبو يعلى محمد بن الحسن. الأحكام السلطانية. تصحيح: محمد حامد الفقي. بيروت،١٩٨٣م..ص. ٢/الشريف.مرجع سابق.ص.٣/مصطفى وآخرون .مرجع سابق .. ص ٣١١، ٤١٥،٧٥٣.

[2] الفراء. المصدر السابق..ص ٢٢١/٢١٧. الشريف. مرجع سابق. ص ٣٨١.

[3] **مالك بن أنس الأصبحي**. المدونة الكبرى . الجزء الثالث. ضبط وتصحيح، الأستاذ أحمد عبد السلام. بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٤ م/١٤١٥ه .ص٣١٢. – الجزء الرابع. كتاب حريم الآبار. ص٤٦٨.

لا يرى الإمام مالك بأساً في بيع فضل ماء الزرع من العيون والآبار. وكذلك لا يرى بأساً في بيع أصل العيون وبيع مائها ليسقى به الزرع.[1]

يستخدم الكثير من الآبار لشرب الإنسان والحيوان ، بينما يستخدم القليل منها في سقى الزروع، مثل بئر رومة التي تصدّق بها سيدنا عثمان بن عفان ﷺ بعد أن اشتراها من صاحبها اليهودي، وهى بئر جاهلية قديمة في أسفل وادي العقيق قريبة من مجمع الأسيال، حولها مزارع وآبار كثيرة قبلي الجرف.[2] وشمالي مسجد القبلتين. ومنها بئر أريس التي ابتاعها سيدنا عثمان ﷺ ، وبها مال يقال له الدومة ابتاعه من حي من الأنصار. وبها كذلك كيدمة مال عبد الرحمن بن عوف ﷺ ذي اشتراه من سيدنا عثمان ﷺ بأربعين ألف دينار . وبآخر العقيق توجد بئر جرف وعليها مال من أموال أهل المدينة. ومن الآبار المعروفة كذلك بئر أبى الهيثم بن التيهان المعروفة ببئر جاسوم ، والتي كان بها عريشاً بارداً كان يدخله رسول الله ﷺ ومعه سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ فيأتيهما أبو الهيثم بما طاب من ألوان الرطب.

من الآبار المشهورة كذلك، بئر حاء أحب أموال أبى طلحة (ابن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار)، الذي كان أكثر أنصار المدينة نخلا، وكانت عبارة عن حديقة كان رسول الله ﷺ، يدخلها ويستظل فيها: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو أبن سلمة عن ثابت عن أنس قال لما نزلت : لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ [3]، قال أبو طلحة يا رسول الله ﷺ أرى ربنا يسألنا من أموالنا فإني أشهدك أنى قد جعلت أرضي بأريحاء له فقال رسول الله ﷺ أجعلها في قرابتك فقسمها بين حسان بن ثابت وأبى بن كعب. وفى صحيح البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع

---

[1] **المصدر نفسه**.الجزء الثالث.ص٣١٢.

[2] **الجرف** بسكون الراء–هو الصواب–مكان غربي المدينة يرى من جبل سلع مغيب الشمس،يظله عشيا جبل سامق يسمى جبل الشظفاء. الإنترنت: مرجع سابق.**معجم الأماكن**.

[3] آل عمران : ٩٢

أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل أحب ماله إليه بيرحاء مستقبلة المسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت: لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ قام أبو طلحة فقال يا رسول الله إن الله يقول: (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها حيث أراك الله فقال بخ ذلك مال رابح أو رايح شك ابن مسلمة وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين قال أبو طلحة أفعل ذلك يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفى بنى عمه.

كذلك بئر بضاعة التى كانت بئرا معروفة بالمدينة ولم تكن طريقا إلى للماء إلى البساتين، في قول، وعيناُ جارية يجري ماؤها إلى بساتين تشرب منها في قول آخر. وهى بالضم وقد تكسر. قطر رأسها ستة أذرع . ويحتمل أن الماء كان ينقل منها إلى البساتين بالسانية، إذ لو كانت سيحاً جارياً لما سميت بئرا. وكذلك لو كانت غديرا أو طريقاً للماء إلى البساتين لم تسمى بئراً: وقال أبو داود في سننه سمعت قتيبة بن سعيد قال سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها قال أكثر ما يكون الماء إلى العانة، قلت فإذا نقصت قال دون العورة، قال أبو داود وقدرت أنا بئر بضاعة بردائي مددته عليها ثم ذرعته فإذا عرضها ستة أذرع وسألت الذي فتح لي باب البستان فأدخلني إليه هل غير بناؤها قال: لا ، ورأيت فيها ماء متغير اللون(تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) . يدل ظاهر رواية أبي داود على أمرين: **الأول:** أن البئر لم تكن من الآبار العميقة وأنها كانت موجودة في داخل بستان ولا يكون بستانا إلا إذا كان مخضرا مما يدل على أن ماءها كان كافيا لسقي ذلك البستان. و**الثاني:** يستدل من ثبات بنائها وعدم تجديده أن ماءها لم يكن يرتفع حتى يعلو فوق بنائها أي أنه لم يكن ماءا جاريا بل ماءا نابعا من عين لا يغادر مكانه وهو ظاهر من قوله: (ورأيت فيها ماءا متغير اللون) فلو كان جاريا لكان متجددا ولما تغير لونه ولذلك فهو ماء ساكن.[1]

---

[1] **بارياء**:هذه اللفظة كثيرا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها:فيقولون:بيرحا بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمد فيهما وبفتحهما والقصر.وهى اسم مال وموضع بالمدينة.وهى الأرض الظاهرة.وبيرحا بستان وكانت بساتين المدينة تدعى بالآبار التي فيها أي البستان التي

من الآبار المعروفة أيضاً آبار الرحضية وهى قرية من نواحى المدينة المنورة مملوكة للأنصار، ولبنى سليم من نجد، وبها آبار عليها زرعٌ كثير ونخيل. ويذهب السمهودي إلى أن بناحية مسجد المدينة نخيلٌ تعرف بالمرقبة، الظاهر أنها تنسب لها. وذكر كذلك أن سعد بن أبى وقاص دخل بمصعب بن عمير حائطاُ من حوائط بنى ظفر على بئر يقال لها مرق. هذا إضافة إلى الآبار الأخرى مثل: بئر بنى خطمة، بئر غرس، بئر عائشة، بئر أدما وهى على ثلاثة أميال من المدينة وكانت عندها غزوة ذات الرقاع . ومن الآبار المعروفة كذلك بئر معونة [1] وهى ماء من مياه بنى سليم بين أرض بنى عامر وبنى سليم. كذلك بئر الأعواف إحدى صدقات النبي ﷺ بئر الفريضة، بئر العهن وهى معروفة بالعوالي وهى مليحة جداً.[2]

يشير ما ذكرناه في شأن الآبار، أن بعضها كان يستخدم في سقي النخيل وري بعض الزروع. بينما يستخدم البعض الآخر في ري النخيل، ويستخدم ما تبقى منها في ري الفواكه. وهي بهذا تجمع بين كونها مصدراُ للمياه ووسيلة للري. وأن معظمها كان يقع فى وسط بساتين النخيل والزروع، حيث كان يساق ماؤها عبر جداول إلى البساتين والحقول القريبة منها. وبواسطة قنوات إلى البساتين والمزارع البعيدة. إضافة إلى أنها كانت كبيرة المساحة عظيمة المياه، تخضع للبيع والشراء في نطاق أضيق من بيع وشراء الأراضي والحقول والبساتين الزراعية.

الأمطار والمياه:-

مثلت الأمطار التي كانت تهطل على شبه الجزيرة العربية بصفة عامة والمدينة المنورة بصفة خاصة ، موردا هاما للمياه التي كانت تستخدم في الري في العصر النبوي. حيث كانت تتفاوت في درجة هطولها بين الكثرة المفضية إلى السيول وبين القلة المؤدية إلى

فيه بئر حا أضيف البئر إلى حا. (صحيح البخاري. الوصايا إذا وقف أرضا ولم يبين الحدود فهو جائز وكذلك الصدقة) الإنترنت: مرجع سابق..معجم الأماكن

[1] بئر معونة بفتح الميم وضم العين المهملة،كانت بلحف"أبلى"وأبلى:سلسلة جبلية سوداء تقع غرب المهد"معدن بنى سليم قديما"إلى الشمال،وتتصل غربا بحجرة الحجاز العظيمة،وهي اليوم ديار مطير،ولم تعد سليم تقر بها. موقع الإسلام.السيرة النبوية. معجم الأماكن

[2] الجرف: شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله العريش ما يستظل به. المرقبة:موضع المراقبة.الحائط:البستان.أنظر:١/:السمهودي.مصدر سابق..ص. ٢/.أبو داود. مصدر سابق.حديث رقم ١٤٩٣. الزكاة. في صلة الرحم.، (مع عون المعبود شرح سنن أبى داود).٣/. مصطفى وآخرون. مرجع سابق، ص١١٨، ٣٦٤،٢٠٨، ٥٩٣.

العدم. لذا أولاها شرّاح الأحاديث ورواة السيرة النبوية، عناية خاصة. فاهتموا بوصف هيئتها وكيفية هطولها (خاصة السحب الممطرة) ووقت مطرها وتفسير الأعراب لذلك، والطريقة التي تعاملوا بها معها باعتبارها ظاهرة لم يألفوها، إذ أنهم ألفوا الصحراء وقسوتها والطبيعة وشدتها وتقلباتها، فتكيفوا معها وكيفوا حياتهم عليها. متعرضين للأخطاء التي نجمت عن تفسير الأعراب لذلك. الأمر الذي حدا بالرسول ﷺ إلى التدخل لتصحيح تلك الأخطاء. هذا إلى جانب الاهتمام بوصف الأمطار التي تزامن هطولها مع غزوة من غزوات الرسول ﷺ، وما تركته من مياه على وجه الأرض أمكن الاستفادة منه في شرب الإنسان والحيوان وري الزروع.

روى عن الرسول ﷺ قوله عن مطر المدينة : أسكنت أقل الأرض مطراُ وهى بين عيني السماء، عين الشام وعين اليمن. يا معشر المهاجرين إنكم بأقل الأرض مطراُ، فأقلوا من الماشية وعليكم بالزرع وأكثروا فيه من الجماجم. توشك المدينة أن يصيبها مطرٌ أربعين ليلة لا يكن أهلها بيت من مدر. وفى رواية أخرى: حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهيل قال عفان في حديثه قال أخبرنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرا لا تكن منه بيوت المدر ولا تكن منه إلا بيوت الشعر.[1]

يشير حديث رسول الله ﷺ، إلى أن أكثر مناطق بلاد العرب مطراُ آنذاك هما بلاد الشام وبلاد اليمن، وأن أقل المناطق مطرًا هي المدينة المنورة. لكن هذا المطر مع قلته هو أصلح ما يناسب الزراعة التي تسد الحاجة وتحافظ على الطبيعة الرعوية لسكان شبه الجزيرة العربية، وفى هذا حث صريح على العمل بالزراعة ، لكن ليس على حساب نشاطات الإنسان الأخرى. غير أن أمطار المدينة عرضة للتغير مثل غيرها من المناطق، لذا فعلى سكانها أن يتحسبوا لمطر يصيبها أربعين ليلة ، لا تقوى على تحمله بيوتها المشيدة بالمواد الثابتة، وهى

---

[1] **الجماجم:** الجمجم ،البئر تحفر في السبخة. المدر:الطين اللزج المتماسك.والقطعة منه مدرة.وأهل المدر:سكان اليوت المبنية،خلاف البدو سكان الخيام.وكن الشيء كنونا :استتر. أنظر:١/ الشافعي،أبو عبد الله محمد بن إدريس. الأم. تصحيح:محمد زهري النجار. القاهرة،١٩٦١م.٢/ مسند أحمد باقي مسند المكثرين مسند أبي هريرة رضى الله عنه. ٣/ مصطفى وآخرون.مرجع سابق ص ٨٥٨،٨٠٢.

الطين اللزج. وهو ما يشير إلى أن تلك الأمطار لا تلبث أن تتحول إلى سيول وفيضانات لا ترحم. أي أن القلة هنا ليست مطلقة بل هي مقيدة بما ينفع الناس ولا يضرهم، وهو توجيههم إلى العمل بالزراعة ولكن في حدود. وفيها ميل إلى الإستقرار أكثر من الحركة، لبناء المجتمع المدني الجديد. لذلك جاء الخطاب النبوي موجهاً بصورة مباشرة إلى المهاجرين ، الذين ألفوا حرية الحركة في التجارة والرعي والهجرة، ذلك أن مكة كانت وادٍ غير ذي زرع. وفيه أيضاً دعوة صريحة إلى التكيف مع الواقع الجديد وهو واقع الأنصار الزراعي المستقر مع المحافظة على ما تخلفه الأمطار من مياه قليلة، وذلك بحفر الآبار في المناطق الزراعية والإكثار منها قدر المستطاع، مع تذكر أن المدينة موعودة بأمطار خير كثيرة إن شاء الله تعالى إكراما للمدينة وأهلها، لا تهدم بيتا ولا تشرد ساكناً رغم كثرتها وشدتها.

ذهب الناس مذاهب شتى في بحثهم عن الأسباب التي تؤدى إلى هطول الأمطار، وعن المسؤول عن إنزال المطر: أخبرنا سعيد بن محمد بن المؤذن، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، قال:أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، قال: حدثنا حمدان السلمي، قال: حدثنا النضر بن محمد قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا أبو زميل، حدثني ابن عباس، قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال: أصبح الناس شاكراً منهم وكافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله تعالى. وقال بعضهم: لقد صدق نؤ كذا. وفى رواية: حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عتاب بن حنين عن أبى سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: لو حبس الله القطر عن أمتي عشر سنين ثم أنزل لأصبحت طائفة من أمتي بها كافرين يقولون هو بنو مجدح قال المجدح كوكب.[1]

وفى رواية أخرى: حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، ن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ

[1] المجدح بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال بعدها مهملة ويقال بضم أوله هو الدبران بفتح المهملة والموحدة بعدها،وقيل سمى بذلك لاستدراره الثريا،وهو نجم أحمر صغير منير ونؤه غير محمود. أنظر:١/ابن حجر،أحمد بن على بن محمد الكنانى. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. القاهرة،١٩٥٩م.٢/الدارمي،أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل . سنن الدارمي . الرقاق. النهى أن يقول مطرنا بنؤ كذا وكذا. القاهرة:دار،إحياء السنة النبوية..٣/ النيسابورى،على بن أحمد. أسباب النزول. مصر،١٩٥٩م..ص٢٢٩ .

صلاة الصبح بالحديبية[1] في إثر السماء (إثر وأثر لغتان مشهورتان: أي بعد المطر.والسماء: المطر) كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس فقال((هل تدرون ماذا قال ربكم؟)) قالوا الله ورسوله أعلم. قال: (قال:أصبح من عبادي مؤمن وكافر. فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب. وأما من قال مطرنا بنؤ كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. وفى صحيح البخاري: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال بنؤ كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب.[2] فهم بقولهم هذا يعزون هطول الأمطار إلى الأنواء والكواكب، وليس إلى الله تعالى جلت قدرته، فجاء جواب رسول الله ﷺ عن هذا شافياً. يقول الإمام الشافعي، عليه رحمة الله: أن قول النبيﷺ، يحتمل عدة معان منها: إنما مطر بين ظهراني قوم أكثرهم مشركين لأن هذا كان وقت الحديبية. وأن معنى قوله والله أعلم: أن من قال مطرنا بنؤ كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نؤ كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ لأن النؤ وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه شيئا ولا لغيره شيئا ولا يصنع شيئا. فأما من قال: مطرنا بنؤ كذا على معنى مطرنا بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله: مطرنا في شهر كذا ولا يكون هذا كفر[3].

---

[1] **الحديبية** على(٢٢) كيلا غرب مكة على طريق جدة القديم ،وهو الطريق الذى يمر بالحديبية ثم حداء-على بضع أكيال من الحديبية-ثم على بحرة-منتصف الطريق-ثم على أم السلم فجدة بها مسجد الشجرة،قيل أن مكانه لم يثبت،وهو اليوم مهدم،وبها بيوتات يعدها الناظر،ومسجد غير مسجد الشجرة يصلى فيه،وبها مخفر للشرطة،وهى خارج الحرم غير بعيدة منه،على مرأى،وملاكها الاشراف بنو ناصر.الإنترنت.مرجع سابق .**معجم الأماكن**.

[2] النؤ :قال الشيخ ابو عمروا بن الصلاح،رحمه الله:النؤفى أصله ليس هو نفس الكوكب،فإنه مصدر ناء النجم ينؤ أى سقط وغاب .وقيل:أى نهض وطلع. مسلم. ،أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى.صحيح مسلم.الرياض:دار عالم الكتب،١٩٩٦م.باب من كفرمن قال مطرنا بالنؤ .حديث رقم:٧١.ص٨٣/٨٤. البخارى.مصدر ساق. الجمعة.قول الله تعالى(وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون).
مصدر سابق.الجمعة.قول الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون.

[3] وحدثنى عباس بن عبد العظيم العنبرى،حدثنا النضر بن محمد،حدثنا عكرمة(وهوابن عمار) ،حدثنا أبو زميل،قال:حدثنى إبن عباس قال:مطر الناس على عهد النبى -صلعم،فقال النبى-صلعم-((أصبح من الناس شاكر منهم وكافر.قالوا هذه رحمة . وقال بعضهم :لقد صدق نؤ كذا وكذا)) قال:فنزلت هذه الآية:{فلا أقسم بمواقع النجوم ٧٥ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ٧٦ إنه لقرآن كريم ٧٧ في كتاب مكنون ٧٨

فالمراد هنا والله أعلم أن من كان يعلم أن الكواكب لا تمطر شيئاً وقال بنسبة المطر إليها، فقد أوجب على نفسه الكفر. وأما من كان يجهل ما يقول فيضع النوء مكان الشهر وليس في نيته غير هذا، فلا حرج عليه وأمره إلى الله. وبهذا نتعلم درساً هاماً من رسول الله ﷺ، مؤداه عدم التسرع في تكفير الناس لمجرد ما تنطق به ألسنتهم من غير أن نتحرّى الدقة في ذلك، لنلتمس للناس الأسباب والأعذار ثم نصدر حكمنا عليهم بعد ذلك. ولعل هذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي-عليه رحمه الله تعالى- حتى لا يترك باب التكفير مفتوحاً على مصراعيه يدخل منه من يشاء من غير فهم للمقاصد الحقيقية لحديث الرسول ﷺ

فالأمطار من عند الله تعالى يصيب بها من يشاء: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] . لذا لا تكاد ساعة من ليل أو نهار تخلو من هطول الأمطار كثرة أو قلة، في جميع أنحاء الأرض ، فيحظى بعض الأجزاء بالنصيب الأوفر منها ويشكو البعض الآخر من الشح والعدم: أخبرنا إبراهيم عن عمرو عن أبى عمرو، عن المطلب أن النبي ﷺ قال: ما من ساعة من ليل ولا نهار، إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء. وقال: أخبرنا من لا أتهم عن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه: أن الناس مطروا ذات ليلة، فلما أصبح النبي ﷺ غدا عليهم ، فقال: ما على الأرض بقعةٌ إلا وقد مطرت هذه الليلة. وقوله: أخبرنا من لا أتهم عن سهيل عن أبيه، عن أبى هريرةرضي الله عنهأن رسول ﷺ، قال: ليس السنة بأن تمطروا ولكن السنة أن تمطروا ثم تمطروا ولا تنبت الأرض شيئا. وفى رواية أخرى: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: إن السنة ليس بأن لا يكون فيها مطر ولكن السنة أن تمطر السماء ولا تنبت الأرض.[2] فنفهم من

لايمسه الإ المطهرون ٧٩ تنزيل من رب العا لمين٨٠أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ٨١ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ٨٢). سورة الواقعة.الايات ٧٥-٨٢. الامام الشافعى.مصدر سابق/١،ص٢٢٣-٢٢٧.

[1]. سورة النور : ٤٣

[2]. سورة النور.الآية،٤٣ الإمام الشافعي.مصدر سابق/.ص٢٢٥. مسند أحمد باقى مسند المكثرين.

هذا أن المطر من عند الله تعالى يصيب به من يشاء، وأن الانتفاع به ليس في كثرته أو قلته وإنما في إذن الله تعالى. فقليله نافع وكثيره قد لا ينفع. ولذلك تكثر الأمطار ويشتد هطولها لكنها مع ذلك لا تستطيع أن تنبت شيئا ، وتلك هي سنة الله في خلقه وما عليهم إلا الصبر على بلواء المطر كثر أم قلّ.

ولابد للسحاب الثقال:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۤ حَتَّىٰۤ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1]من قوة تدفعه إلى حيث أراد الله له أن ينتهي ماءا، مثل قوة الرياح التي منها الممطر مطراُ خفيفاُ لا يبدو له أثراُ، والممطر مطراُ غزيراُ تسيل منه الأودية وتتدفق المياه: أخبرنا الربيع قال: أخبرنا الشافعي قال: أخبرني من لا أتهم قال، قال ﷺ ((نصرت بالصبا وكانت عذابا على ما كان قبلي))، وبلغني أن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ (ما هبّت جنوب قط إلا أسالت واديا.))، يعنى أن الله خلقها تهب نشراُ بين يدي رحمته من المطر. أخبرنا إبراهيم بن محمد قال: أخبرنا سليمان عن المنهال بن عمرو،عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود قال: أن الله تعالى يرسل الرياح: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] فتحمل الماء من السماء، ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة ثم تمطر. أخبرنا الربيع قال: أخبرنا الشافعي قال: أخبرنا من لا أتهم قال: حدثني عبد الله بن إسحاق أن النبي ﷺ قال: إذا أنشئت بحرية ثم استحالت شامية فهو أمطر لها.[3].

فالرياح هي إذن التي تسوق السحاب المحمل بالمياه إلى حيث قدر الله، ولا تدعه حتى يمطر ماءاُ خيراُ وفيرا، كما تدر الناقة الحلوب الممتلئة الضرع، لبناُ يروى الشاربين. فغاية البلاغة هنا ومبلغ التشبيهة ، تشبيه السحابة باللقحة، وهل أبلغ من ﷺ، فالغاية في كليهما

---

[1]. سورة الأعراف : ٥٧

[2]. سورة الحجر : ٢٢

[3] **شامية**:شام السحاب والبرق:نظر إليه يتحقق أين يكون مطره. اللقحة:الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. أنظر: سورة الأعراف.الآية،٥٧. سورة الحجر.الآية ،٢٤.الإمام الشافعي. مصدر سابق/٣ .. مصطفى وآخرون. مصدر سابق. ص١٣٣،ص٨٣٤

الإرواء، فالناقة تروي فصيلها والسحابة تروي الأرض. وغاية البلاغة تتمثل في إدرار السحابة الماء وتحكمها فيه، إدرار اللقحة اللبن وتحكم ضرعها فيه، وكل شئ عنده سبحانه وتعالى بمقدار.

أدى هطول الأمطار الغزيرة في بعض الأحيان إلى الحيلولة بين الناس وبين ممارستهم لنشاطاتهم اليومية، وأداء شعائرهم الدينية. فقد شكا بنو سلمة للرسول ﷺ من أن السيول منعتهم أو حالت بينهم وبين الصلاة بمسجد القبلتين ومسجد الخربة: روى يحيى بن عبد الله عن أبى قتادة قال: شكا أصحابنا-يعنى بنى سلمة وبنى حرام، إلى رسول الله ﷺ أن السيل يحول بينهم وبين الجمعة، وكانت دورهم مما يلي نخيلهم ومزارعهم في مسجد القبلتين ومسجد الخربة. فقال لهم النبي ﷺ وما عليكم لو تحولتم إلى سفح الجبل. وفى صحيح البخاري: حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال بينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقام رجل فقال يا رسول الله أدع الله أن يسقينا فتغيمت السماء ومطرنا حتى ما كاد الرجل يصل إلى منزله فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة فقام ذلك الرجل أو غيره فقال أدع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا فقال اللهم حوالينا ولا علينا فجعل السحاب يتقطع حول المدينة ولا يمطر أهل المدينة[1]

فالمطر خير وبنو سلمة أحوج ما يكونون إليه فلماذا منه يشتكون ؟ أولو كان توقف أما كانوا إلى الله يتضرعون؟ ولذلك لو دعا رسول الله ربه ليمسك المطر لاستجاب دعاءه، ولكنه المبعوث رحمة للعالمين، يدعو بنى سلمة أن يتركوا المطر وشأنه وأن ينتقلوا إلى سفح الجبل حتى يؤدوا صلاتهم فكل أرض الله مسجدا وترابها طهورا. فلا بد إذن من حفظ التوازن بين حاجات الإنسان الدنيوية وواجباته الأخروية، فلا عبادة بلا عمل، والعمل خلاصة العبادة. وبهذا يدعو ﷺ أصحابه ومن يأتي بعدهم من المسلمين إلى التكيف مع مستجدات الحياة ومتغيراتها.

---

[1] السمهودي.الوفا/١.ص٢٠٣ .الإمام البخاري.مصدر سابق. الدعوات. الدعاء غير مستقبل القبلة.

وفى الحديبية تم التطبيق لما أمر الرسول بنى سلمة القيام به. وذلك عندما أجاز الرسول ﷺ الصلاة في الرحال، لما ابتلت الأرض بفعل الأمطار الغزيرة: حدثنا سفيان بن سعيد، عن خالد بن الحذاء، عن أبى المليح الهذلي، عن أبيه قال: مطرنا بالحديبية مطراً فما ابتلت منه أسفل نعالنا. فنادى منادى رسول الله أن الصلاة في الرحال. وقد حدث ذلك أيضاً في حنين: (أخبرنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أبى المليح عن أبيه قال: كنا مع رسول الله بحنين فأصابنا مطر فنادى منادى رسول الله ﷺ أن صلوا في الرحال وفى غزوة ذي أمر، أصاب الرسول ﷺ مطر ابتلت منه ثيابه حتى أضطر إلى تجفيفها عند ظل شجرة. وفى موقعة بدر، أدى هطول الأمطار إلى إرباك حسابات المعركة لدى المشركين ، وتبسيطها عند المسلمين، فتمكن الرسول ﷺ من الوصول إلى ماء بدر ومل الحياض وصف المجاهدين استعدادا للمعركة الفاصلة. وأثناء تشييد الرسولﷺ مسجده بمربد سعد وسعيد، لم تكن الأمطار تكف عن الهطول ، حتى كانت ساحة المسجد تمتلئ بماء المطر. ومن ثم لم تلبث الأمطار أن غدت ميدانا للتغني والتفاخر بالأشعار:-

وإن بأروى معدنا لو حفرته ******* لأصبحت غنيانا كثير الدراهم.[1]

وبهذا يقدم الرسولﷺ درسا غاية في الأهمية والبلاغة والإعجاز، موضحاُ فيه أن الأمطار شأن إلهي، ليس على الإنسان إلا التكيف معه في حالتي الكثرة والقلة، وألا يتخذ منه سببا للتقصير في القيام بأعماله وعباداته. وعليه كذلك أن يستفيد منه في تحقيق أهدافه وغاياته، متقربا به إلى الله تعالى زلفى شاكرا له أنعمه.

مثلما اهتم العرب بما تجمع على وجه الأرض من ماء المطر، اهتموا كذلك بما ذهب منه في داخلها. فنشأ ما عرف عندهم بعلم الريافة الذي يقصد به استخراج المياه الكامنة وإظهارها بواسطة بعض العلامات الدالة على وجودها، حيث يعرف بُعدها أو قُربها من الأرض بشم التراب، أو بشم رائحة بعض النباتات في المكان، أو بحركة حيوان معين حوله ،

---

[1]. إبن هشام،أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى. السيرة النبوية.المجلد الثالث.ص٣. تحقيق مصطفى السقا وآخرون القاهرة،١٩٣٦م. الواقدى، أبو عبد الله محمد بنعمر. كتاب المغازى. الجزء الثانى. تحقيق : الدكتور: مارسدن جونز. أكسفورد،١٩٦٦م...ص٥٦٢,٥٨٩.) النسائى السنن. الإمامة. العذر فى ترك الجماعة.

وهو من فروع الفراسة[1]. وهو ما مكّن الرسول ﷺ من استنباط الماء بالحديبية اعتمادا على وجود بعض القلب (الآبار) الجافة، وإن عده البعض إعلاماً لنبوته ﷺ : ذلك أنه ﷺ لما حصل بالحديبية وهي جافة، قال للناس: أنزلوا. فقالوا: يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه. فأخرج سهما فدفعه إلى البراء ابن عازب، وقال: أغرز هذا السهم في بعض القلب الحديبية (وهى جافة) ففعل فجاش الماء ، فتنادى الناس بعضهم من أراد الماء.[2] فقال أبو سفيان: قد ظهر بالحديبية قليب فيه ماء، ثم قال لسهيل بن عمرو: قم بنا إلى فعل محمد. فأشرفا على القليب والعيون تحت السهم ، فقالا: ما رأينا كاليوم قط، وهذا من سحر محمد قليل. فلما أمر رسول الله ﷺ بالرحيل ، قال للناس: خذوا حاجتكم من الماء. ثم قال للبراء اذهب فرد السهم، فلما فرغوا ارتحلوا- أخذ البراء السهم فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء ٤٦ وهى حادثة تدل وإن اختلف الناس حول دلالتها، على أن شبه الجزيرة العربية، لم تكن على تلك الدرجة من الجفاف الذي يعتقد به كثير من الناس.

تشريعات الري النبوية:

أدى تعدد موارد المياه وتنوع وسائل الري إلى سن تشريعات نبوية الهدف منها تنظيم عملية الري في المدينة المنورة خاصة وشبه الجزيرة العربية عامة. الغرض منها العمل على تحديث وسائل الري القديمة ، مثل السدود والقنوات والسواقي والزرانيق. [3] والتي كانت محدودة الفائدة لافتقارها لقانون ينظم استخدامها ، وينظم علاقات الإنتاج بين المستفيدين منها. فقد استطاعت خيبر وبقليل من التنظيم ، الصمود في وجه الحصار العسكري الاقتصادي الذي ضربه حولها النبي ﷺ : وذلك نتيجة لما يوجد بها من جداول مياه: إنك لو أقمت شهرا

---

[1] الفراسة :بفاء مكسورة وراء مفتوحة، المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها. وفى الحديث((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)) .والفراسة الرأي المبنى على التفرس.يقال فراستي في فلان الصلاح. . ابن هشام.المصدر السابق/٣.ص٣٧٥. مصطفى وآخرون.مصدر سابق.ص٦٨١.

[2] الكتانى،عبد الحي بن عبد الكبير.التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والحالة العلمية التي كانت على عهد المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية.الجزء الثاني. المغرب،١٣٤٧ه. ص١٠٣.

[3] الزرانيق:جمع زرونقان وهو عبارة عن حائطين يبنيان على رأس البئر من جانبيها، فتوضع عليهما النعامة وهى خشبة تعرض عليهما ثم تعلق فيها البكرة التي يجرى فيها حبل الدلو الذي يستسقى به. ابن حجر. مصدر سابق/٥. ص٤٣٣.، عبد الوهاب عزام مهد العرب. (سلسلة اقرأ) القاهرة،١٩٦١م. .ص٤ ١٧.

تحاصرهم ما بالوا بك. إن لهم دبولا ((جداول)) تحت الأرض يخرجون بالليل يشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم. فلما قطعت دبولهم خرجوا فقاتلوا. وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر فوقع فوثئت رجله وثئا شديدًا فحمله أصحابه حتى أتوا منهراً (من مناهرهم، فدخلوا فيه استتروا[1].

وهنا تظهر الوظيفة الثنائية لموارد المياه التي تجري داخل الحصون في شكل قنوات شكلت خط الدفاع الأخير لخيبر أمام حصار المسلمين. فلما تمكن المسلمون من السيطرة على مياهها وقطعها، لم يجد من كان بخيبر بدًا من الخروج لمواجهة المسلمين ، وكان ذلك سببا مهماً في سيطرة المسلمين عليها.

عرفت المدينة المنور ة إلى جانب الري من جداول المياه، الري بالسدود أو الخزانات التي يختلف حجمها باختلاف المناطق المقامة فيها ومدى الحاجة إليها، من ناحية كبر المساحة أو صغرها. فقد كانت صغيرة الحجم في المدينة المنورة يقيمها أصحاب المزارع في الحرات ((الحرّة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت)) القريبة منهم، أو في شراجها ((الشرج: مسيل الماء من الهضاب ونحوها إلى السهل.. لتجميع السيل وإرساله إلى المزارع.وهى في الطائف أكبر مما هي عليه في المدينة)). ويعتبر توجيه الرسول ﷺ بإقامة سد لحجز المياه المتدفقة من جبل شوران، أقوى دليل على وجود ذلك الضرب من طرق الري. حيث يتم حجز مياه الجبل وتصريفها بواسطة قناة إلى قباء.[2]

وقد دفعت الحاجة إلى مزيد من المياه اللازمة لري الأراضي القليلة الصالحة للزراعة، إلى التفكير الجاد في الكيفية التي يمكن من خلالها الاستفادة من المياه المتوفرة وذلك باستخدام المواد المحلية للتحكم في كمية المياه المتدفقة وفي طريقة تصريفها حسب الحاجة: وبالشتو عين تسمى الحمة ((الحمة: كل عين ماء حارة تنبع من الأرض يستشفي بالاغتسال من مائها))

---

[1] المنهر:موضع يحتفره الماء.والمنهر شق في الحصن نافذ يجرى منه الماء.خيبر:على بعد ثمان برد من المدينة لمن يريد الشام بها عدد من حصون اليهود . ياقوت.ص٤٠٩.عبد الله بن عتيك.أخ الصحابي الجليل جابر بن عتيك، أنصاري من شيوخ الأوس، توفى بالمدينة المنورة.. الفيروز آبادى. ص١٦٧.عبد العزيز إبراهيم العمرى. الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول. (دم)، ١٩٨٥م. ص. ١٢٧. سلامة محمد الهرفى. المخابرات في الدولة الإسلامية. الرياض:دار النشر،١٤٠٨ه. مصطفى وآخرون.مصدر سابق.

[2] البكري،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع .الجزء الأول. القاهرة،١٦٤٥م. ص٥٢٢... مصطفى وآخرون.مصدر سابق. ص٤٧٧،١٦٥

وهي التي سمّاها النبي ﷺ قسمة الملائكة. حيث يذهب ثلثا ماؤها في فلج((الفلج: بفاء مفتوحة، النهر الصغير. والفاج: بضم الفاء، القناة تروى جميع البستان)). والثلث الآخر في الفلج الآخر والمسلك واحد. فيطرح فيها ثلاث خشبات أو ثلاث تمرات، فتذهب اثنتان في الفلج الذي له ثلث ماؤها، وتذهب واحدة في الفلج الثاني ((أي الذي له ثلثا ماؤها))، ولا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث، ومن قام في الفلج الذي يأخذ الثلثين ليرد الماء إلى الفلج الآخر، غلبه الماء وغاض، ولم يرجع من الفلج الثاني شئ يزيد على الثلث.[1]

وهى طريقة للتحكم في المياه تشبه إلى حد كبير الطريقة التي اتبعتها الملكة بلقيس، ملكة سبأ للتحكم في كمية المياه اللازمة للري من سد مأرب[2]، مما يؤكد معرفة الرسول ﷺ بما كان يستخدم من وسائل ري في شبه الجزيرة العربية في الفترة السابقة للإسلام .

شراج الحرة:-

الشراج : السواقي. وشراج الحرة المراد به هنا مسيل الماء وأضيف إلى الحرة لكونه فيها. قال عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث، قال: حدثني ابن شهاب عن عروة، عن عبد الله بن الزبير–رضي الله عنهما، حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل (وفى رواية: في شراج من الحرة يسقى به النخل). فقال الأنصاري. سرّح الماء يمر، فأبى عليه فاختصما عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك. فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: اسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع الماء إلى الجدر. فقال

---

[1] عبد الوهاب عزام.ص٤١٧. مصطفى وآخرون.مصدر سابق..ص٦٩٩، ٢٠٠

[2] **سد مأرب** كان وادي مأرب يأخذ من سراة اليمن الواقعة شرق صنعاء (عاصمة الجمهورية العربية اليمنية) إلى الجنوب،ويذهب مشرقا فيضع في رمال الأحقاف ،وكان يمر بين جبلين صلدين،فسدّ اليمنيون ما بينهما فتكونت وراء السد بحيرة،وجعلوا في السد فتحات يفتحونها إذا بغوا الماء،ويسدونها إذا اكتفوا منه،وحاق بهم ما حاق بالأمم فتهدم السد فدمّر مزارعهم،ومنازلهم فتفرقوا أيدي سبأ.وينحصر تاريخ بناء السد بين عام ٦٥٠–٦٣٠ ق.م.وتنسب بعض الروايات بناءه إلى سبأ بن يشجب،بينما ينسبه البعض الآخر إلى النعمان بن عاد الذي جعله فرسخا في فرسخ (وهو ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع) وجعل له ثلاثين متقبا(مخرجا)وجعل بناه بالصخر والغار ،وهو عبارة عن حائط ضخم مقام في عرض الوادي نحو مائة وخمسين ذراعا نحو الشمال الشرقي من المضيق .وسموه العرم وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو ثلاثمائة ذراع،وعلوه بضعة عشر ذراعا ،وعرضه مائة وخمسون ذراعا .أنظر:ياقوت،شهاب الدين أبو عبد الله .معجم البلدان. الجزء الأول. بيروت:١٩٨٣..ص٣٧/٣٥. جورجى زيدان. العرب قبل الإسلام . مراجعة: حسين مؤنس . القاهرة، (د.ت). ص ١٧٢/١٧٠. الإنترنت:مرجع سابق.معجم الأماكن.

الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1] نزلت في ذلك.[2]

ويذهب العلماء إلى أن الشرب من نهر أو مسيل غير مملوك يقدم الأعلى فالأعلى. ولا حق للأسفل حتى يستغني الأعلى. وحده أن يغطي الماء الأرض حتى لا تشربه. ويرجع إلى الجدار ثم يطلقه. ومجموع الطرق دال على أن الرسول ﷺ أمر الزبير، **أولا:** أن يترك بعض حقه. **وثانياَ:** أن يستوفى جميع حقه. وقد قدرت الأنصار والناس قول النبي ﷺ ، اسق ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، وكأن ذلك أنهم لما رأوا أن الجدر يختلف بالطول والقـــصر قاسوا ما وقعت فيه القصة فوجدوه يبلغ الكعبين. فجعلوا ذلك معياراً لاستحقاق الأول فالأول، المراد به مبدأ الماء من ناحيته، أو لم يتقدمه أحد في الغراس بطريق الإحياء والذي يليه من أحيا بعده وهكذا.[3]

فشراج الحرة بهذه الصفة ، مسيل ماء طبيعي لا يحق لأحد ، إدعاء حق ملكيته أو حق التصرف بشيء من مائه. فهو إذن ملك عام تعود ملكيته إلى الدولة الإسلامية ممثلة في رسول الله ﷺ ،آنذاك. ويعكس ما حدث من خلاف حول أحقية أولوية الشرب من مائه، بين الزبير بن العوام والأنصاري ، ونقل الخلاف إلى رسول الله ﷺ للفصل فيه، يعكس مدى الحاجة إلى تشريع واضح عادل ينظم العلاقة بين المستفيدين منه. وقد بدأ الحل في التدرج الذي اتبعه الرسول ﷺ في فض النزاع بين المتخاصمين، تدرجا من العرف إلى القانون. وهو أسلوب يظهر حرص الدولة الإسلامية على تفهم الأسباب الموضوعية التي ساقها كل من طرفي النزاع. كما تظهر الشكوى والحوار الذي دار بين الخصمين بين يدي رسول الله ﷺ ، من جهة، وبينهما ورسول الله ﷺ من جهة أخرى، تظهر مدى حرص كل من الطرفين على استغلال الماء استغلالا أمثل. ولعل الأنصاري لم يستوعب الحكم الذي أصدره الرسول ﷺ

---

[1] سورة النساء : ٦٥

[2]. البخاري. مصدر سابق٣. ص١٤. ابن حجر. مصدر سابق.ص٤٢٣

[3] ابن حجر. المصدر نفسه/٢.ص٤٣٣/٤٣٧.

للزبير ﷺ في بادئ الأمر، فظن أن الرسول ﷺ انحاز إلى ابن عمته(الزبير)، ولم ينحاز إلى الحق. مما دفع الرسول ﷺ إلى التشديد على الزبير، في أن يستوفى حقه كاملا من الماء، ثم بعد ذلك يترك الماء يمر إلى جاره، الأول فالذي يليه وهكذا. وهو حكم للأرض وليس لمالك الأرض. وهو ما يشير بجلاء إلى معرفة الرسول ﷺ بطبيعة الأرض، أو بعلم طبقات الأرض. فهناك المرتفع من الأرضين الذي لا يبلغه الماء إلا بمشقة، وهناك المنخفض الذي إذا تكاثر عليه الماء أغرقه. ثم هناك الصلد المتماسك من الأرض، الذي لا يمسك الماء ولا يحبسه. وهناك الطيني اللزج الذي يشرب الماء ويحتفظ به وينتفع. لذا وأمام كل هذا أصبح من الضروري أن يبدأ الشرب الأقرب إلى مصدر الماء، فربما يكون المرتفع والصلد، الذي يتطلب مزيدا من الماء والوقت حتى يرتوي بالماء. ثم بعد ذلك يسقى الأدنى فالذي يليه، وهو غالبا من تكون أرضه منخفضة يضر بها ما تكاثر عليها من الماء واندفع. لذا لابد أن يصل إليها الماء متأنيا. وبهذا تعتبر شراج الحل النافع لما حدث ولما يمكن أن يحدث من مشاكل حول مياه الشرب في المستقبل.

ختاما فقد حاولت قدر الإمكان من خلال الشواهد التاريخية التي استقيتها من المصادر الأصلية، أن أبيّن أن هناك حاجة ماسة إلى فهم يرتقى إلى مستوى التطور الذي كان ماثلا إبان حياة المصطفى ﷺ. وأن الحق يقتضي منا أن نتعامل مع ذلك العصر من خلال الظروف التي أحاطت به، وهى ظروف لم تكن في صالحه في كثير من الأحيان، وأن الرسول ﷺ الإنسان بما آتاه الله من قدرة متفردة على فهم تلك الظروف، استطاع أن يوظفها لمصلحة ذلك العصر. و هذا البحث جزئية من التطور الذي نتحدث عنه. فإن أفرزت هذه الجزئية ذلك الكم من المعلومات ، فإن هذا يدل على عظمة ذلك العصر بكل تداعياته. رغم أنني لا أجزم أنني أتيت على كل ما كتب في هذا الموضوع، وإنما فتحت باباً للراغبين للبحث فيه. وإني لأرجو أن أكون قد وفقت إلى تبيان جوانبه المختلفة راجيا أن يكون ذلك إضافة علمية إلى ما كتب عن الجوانب الحضارية في السيرة النبوية، والله من وراء القصد وهو المستعان.

ثبت المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر:

ابن حجر،أحمد بن على بن محمد الكناني (٨٥٢هـ).

فتح الباري بشرح صحيح البخاري . القاهرة،١٩٥٩هـ).

ابن حزم، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ).

جوامع السيرة. تحقيق: الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد، ومراجعة أحمد محمد شاكر. مصر: دار المعارف ،(د.ـ ت).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).

صحيح البخاري . مصر، ١٣٧٧هـ

البكري،أبو عبيد عبد اله بن عبد العزيز .

معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع. القاهرة،١٩٤٥م.

الحربى،إبراهيم بن إسحاق.

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق:حمد الجاسر. الرياض،١٩٦٩م.

أبو،دأود،سليمان بن الأشعث السجستانى.

سنن أبى داود. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة،١٩٥٠م.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل.

سنن الدارمي. القاهرة :دار إحياء السنة النبوية،د.ت

السمهودي،على بن عبد الله بن أحمد الحسيني (ت٩١١هـ)

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة: مطبعة الآداب والمؤيد،١٩٥٥م.

الشافعي،أبو عبد الله محمد بن إدريس.

الأم. تصحيح. محمد زهري النجار. القاهرة،١٩٦١م.

الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبد الله .

بلاد العرب، تحقيق : حمد الجاسر وصالح أحمد العلي، الرياض، ١٩٦٨ م.

أبو الفداء،

تقويم البلدان. تحقيق:ديلان. باريس،١٨٤٠م.

الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسن.

الأحكام السلطانية. تصحيح. محمد حامد الفقي. بيروت،١٩٨٣م.

الفيروز آبادي،مجد الدين أبو الطاهر.

المغانم المطابة في معالم طابة . تحقيق: حمد الجاسر. الرياض، ١٩٦٩م.

الكتاني،عبد الحي بن عبد الكبير

التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والحالة العلمية التي كانت على عهد المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية . المغرب، ١٣٤٧هـ

مالك،أبن أنس الأصبحي الحميري(ت ١٧٩هـ).

- المدونة الكبرى .ضبط وتصحيح، الأستاذ أحمد عبد السلام . بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الموطأ.(كتاب الشعب). تصحيح :محمد فؤاد عبد الباقي.مصر،١٩٥١م..

الماوردي،أبو الحسن على.

الأحكام السلطانية القاهرة،١٩٦٦م

مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.(ت٢٦١هـ).

صحيح مسلم. مصر،(د،ت).

النسائي،أبو عبد الرحمن بن شعيب.

سنن النسائي. بيروت:دار إحياء التراث العربي،١٩٣٠م.

النيسابوري،على بن أحمد .

أسباب النزول. مصر، ١٩٥٩م.

الواقدي،أبو عبد الله محمد بن عمر.(ت٢٠٧هـ)

كتاب المغازي .تحقيق: الدكتور.مارسيدن جونز. أكسفورد،١٩٦٦م.

ابن هشام،أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(٢١٨هـ).

السيرة النبوية تحقيق:مصطفى السقا وآخرون.القاهرة ،١٩٣٦م.

الهمداني،الحسن بن أحمد بن يعقوب.

صفة جزيرة العرب. تحقيق:ابن بلهيد النجدي. القاهرة،١٩٥٣م.

ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله . ،

معجم البلدان. بيروت،١٩٥٦م.

ثالثاً:المراجع:

الشريف،أحمد إبراهيم .

مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول . القاهرة،١٩٦٥م.

أحمد بن عبد الحميد العباسي.

عمدة الأخبار في مدينة المختار. تصحيح:حمد الجاسر. المدينة،(د.ت).

الإنترنت،

موقع الإسلام- السيرة-معجم الأماكن.

جواد ،على.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت،١٩٦٩/١٩٧٦.

جرجي، زيدان.

العرب قبل الإسلام. مراجعة حسين مؤنس. القاهرة (د.ت)

حافظ وهبة .

جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦٥ م.

سلامة محمد الهرفي.

المخابرات في الدولة الإسلامية. الرياض:دار النشر،١٤٠٨ه.

عبد العزيز إبراهيم العمري.

الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول. (د.م)، ١٩٨٥م.

عبد الوهاب عزام ،

مهد العرب (سلسلة اقرأ) القاهرة ١٩٦١م.

محمود شكري الألوسي.

تاريخ نجد ، القاهرة ١٩٢٨ م .